معنى التعقبات بين الأخفش والأشموني : دراسة في المصطلح

The Meaning of al-Aṣnāf According to al-Akhfash and al-Ashmūnī: A Study in Terminology.

صالحة رمضان صالح

Salha Ramadan Saleh

قسم اللغة العربية –الدراسات العليا– كلية الآداب – جامعة طبرق

aylafwsam803@gmail.com

ملخص البحث: يتناول هذا البحث موضوع التعقّبات النحوية التي وجّهها الأشموني (ت: 900هـ) إلى الأخفش الأوسط (ت: 215هـ) في كتابه منهج السالك إلى ألفية ابن مالك المعروف بشرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ويهدف إلى جمع هذه التعقّبات، ودراستها دراسة نحوية تحليلية، وبيان موقف الأشموني منها، وألفاظ الترجيح والتضعيف التي استعملها، ومدى تأثره بالمدرستين البصرية والكوفية.

وقد تناول البحث ترجمة الأخفش الأوسط: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه، ومولده، وحياته، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، ومذهبه النحوي، ووفاته، وأقوال العلماء فيه. كما تناول ترجمة الأشموني وكتابه: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه، ومولده، وحياته، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، ومذهبه النحوي، ووفاته، وأقوال العلماء فيه، ثم التعريف بكتابه شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ومضمونه، وطبعاته. وناقش أيضًا مفهوم التعقّبات في اللغة والاصطلاح، والتمييز بينها وبين المصطلحات المتقاربة: الترجيحات، والآراء، والاختيارات، والرد، والموازنة، ثم ألفاظ الترجيح والتضعيف التي استعملها الأشموني في كتابه.

واتبع البحث المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، مع الموازنة بين الأقوال، ومن أهم نتائج البحث: أنّ الأخفش الأوسط كان من أبرز نحاة البصرة وأحذق أصحاب سيبويه، وأنّ الأشموني لم يتقيّد بمذهب نحوي واحد، بل كان ينتقي ما يترجّح لديه بالدليل، مع غلبة أصول البصريين على اختياراته، وأنّ التعقّب أوسع المصطلحات المتقاربة دلالةً؛ لأنه يتضمن التتبع والنظر والتقويم والتصحيح، وأنّ ألفاظ الترجيح والتضعيف عند الأشموني متفاوتة المراتب، ولكل لفظ منها موضع دقيق في بيان قوة القول أو ضعفه.

الكلمات المفتاحية: التعقّبات، الترجيح، الأشموني، الأخفش الأوسط، شرح الأشموني، ألفية ابن مالك، المدرسة البصرية، المدرسة الكوفية.

Abstract: This research examines the grammatical critiques that al-Ashmuni (d. 900 AH) directed at al-Akhfash al-Awsat (d. 215 AH) in his book, Manhaj al-Salik ila Alfiyyat Ibn Malik, also known as al-Ashmuni's Commentary on Ibn Malik's Alfiyyat. It aims to collect these critiques, analyze them grammatically, clarify al-Ashmuni's position on them, examine the terms of preference and weakening he employed, and assess the extent of his influence by the Basran and Kufan schools of grammar.

The research also includes a biography of al-Akhfash al-Awsat: his name, lineage, patronymic, title, birth, life, teachers, students, works, grammatical school, death, and the opinions of scholars regarding him. The study also addressed the translation of al-Ashmuni's work: his name, lineage, nickname, title, birth, life, teachers, students, writings, grammatical school of thought, death, and scholarly opinions about him. It then introduced his book, "Al-Ashmuni's Commentary on Ibn Malik's Alfiyya," its content, and its editions. The study also discussed the concept of "ta'aqqub" (commentary) in both linguistic and technical terms, distinguishing it from similar terms such as "tarjihat" (preferences), "ara'" (opinions), "ikhtiyarat" (choices), "radd" (refutation), and "muwazana" (balancing). Finally, it examined the terms of preference and weakening used by al-Ashmuni in his book.

The research employed an inductive, analytical, and critical methodology, comparing different opinions. Among its most important findings were: that al-Akhfash al-Awsat was one of the most prominent grammarians of Basra and one of Sibawayh's most skilled students; that al-Ashmuni did not adhere to a single grammatical school but rather selected what he considered most likely based on evidence, with the Basran school's principles predominating in his choices; and that "ta'aqqub" is the broadest of the similar terms in meaning. Because it involves tracing, examining, evaluating, and correcting, and because al-Ashmuni's terms for preference and weakening vary in degree, each term having a precise place in indicating the strength or weakness of a statement.

Keywords: critiques, preference, al-Ashmuni, al-Akhfash al-Awsat, al-Ashmuni's commentary, Ibn Malik's Alfiyya, Basra school, Kufa school.

ترجمة الأخفش الأوسط (ت215هـ)

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

الأخفش الأوسط هو سعيد بن مسعدة مولى بن مجاشع البصري (أبو الطيب اللغوي، 1974، ص. 68). ويعرف في كتب التراجم والنحو بالأخفش الأوسط (السيرافي، 1966، ص. 40). فارسي الأصل، من أشهر نحاة البصرة، وأبرزهم، كما كان من أحذق أصحاب سيبويه (الزبيدي، د.ت.، ص. 72–73؛ ابن النديم، 1997، ص. 75). وقد أجمعت المصادر على أنّ كنيته أبو الحسن، ويكنى أيضا بالراوية. وإنّما لقّب بالأخفش؛ لصغر عينيه، وضعف بصره، وهو لقب غلب عليه حتى صار علما له. فإذا أطلق لقب الأخفش مجردا من الكنية، والاسم في كتب النحو، أو اللغة، أو التفسير، انصرف الذهن إليه دون غيره؛ لشهرة لقبه، وذيوعه في المصنفات. وينسب إلى بلخ (ياقوت الحموي، د.ت.، ج. 1، ص. 479).

وسمّي بالأوسط تمييزا له من غيره ممّن اشتهروا بهذا اللقب؛ وهم: الأخفش الكبير، وهو أبو الخطاب عبد الحميد الهجري، والأخفش الصغير، وهو علي بن سليمان. وبذلك انعقد إطلاق هذا اللقب في كلام النحويين على أبي الحسن سعيد بن مسعدة دون غيره (ابن خلكان، 1994، ج. 2، ص. 380–381).

يمثّل أبو الحسن سعيد بن مسعدة نموذجا للنحوي الذي تجاوز حدود التلقّي عن شيخه سيبويه إلى التمكّن من أصول مذهبه والتصرّف فيها، وهو ما يفسّر غلبة لقب "الأخفش" عليه في الاستعمال العلمي، وانصرافه إليه عند الإطلاق دون غيره.

مولده وحياته

لم تعن كتب التراجم، والطبقات سنة مولد الأخفش الأوسط تعيينا دقيقا؛ غير أنّ بعضها يشير إلى أنه كان أكبر سنا من سيبويه، الذي توفي سنة ثمانين ومائة للهجرة عن عمر ناهز الأربعين. ويكاد يجمع الرواة على أنّ أبا الحسن توفّي بعد سيبويه بأكثر من عشرين سنة؛ وبناء على ذلك، يحتمل أن تكون ولادته في العقد الثالث من القرن الثاني للهجرة (السيرافي، 1966، ص. 40). وقد عاش في البصرة، ثم انتقل إلى بغداد، متنقلا بين مدن العراق، وكان معتزلا في حياته، ومعلما، كما كان الطريق لكتاب سيبويه؛ إذ لم يعلم أحد قرأ الكتاب على سيبويه، حتى قال الأخفش(ت:215هـ): ما وضع سيبويه شيئا في كتابه إلاّ بعد عرضه عليّ (التنوخي، 1992، ص. 85–86). وهو الذي في علم العروض بحر الخبب (ابن خلكان، 1994، ج. 2، ص. 380). يعكس غياب التحديد الدقيق لسنة مولد الأخفش الأوسط اعتماد كتب التراجم على القرائن الزمنية، لا على التاريخ العددي؛ إذ يقوم ترجيح ولادته في العقد الثالث من القرن الثاني للهجرة على موازنة بين تقدّمه في السن على سيبويه وتأخر وفاته عنه، وهو تقدير استنتاجي لا جزم فيه.

كما تدل إشارته إلى إضافة البحر على سعة نظر الأخفش، في علم العروض، وأنّه لم يقف عند ما استقر عليه الخليل، فكان ذلك شاهدا على استقلاله بالنظر.

شيوخه:

تلقى الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة، علومه على أيدي جماعة من كبار علماء عصره (ابن خلكان، 1994، ج. 2، ص. 380)، فأخذ اللغة، والنحو، والفقه، وعلوم القرآن عن أعلام كان لهم الأثر البالغ في تكوينه العلمي. و من أبرز شيوخه:

- سيبويه (ت:180هـ)
- يونس بن حبيب البصري(ت:182هـ) (ابن خلكان، 1994، ج. 7، ص. 244-245)
- عيسى بن عمر الثقفي(ت: 149هـ) (الزركلي، د.ت.، ج. 5، ص. 106)
- يعقوب بن إسحاق الحضرمي(ت: 205هـ) (الزركلي، د.ت.، ج. 8، ص. 195
- الأخفش الأكبر(ت: 177هـ) (الزركلي، د.ت.، ج. 3، ص. 288).

تلاميذه:

احتلّ الأخفش الأوسط منزلة رفيعة بين نحاة البصرة بعد شيخه سيبويه، ولازم أصوله، مع مخالفته له في عدد من المسائل، وقد تتلمذ على يديه جمع من اللغويين، فأخذوا عنه علم العربية، وانتشر مذهبه (القفطي، 1982، ج. 2، ص. 37). ومن تلاميذه:

- الكسائي(ت: 189هـ)
- أبو عمر الجرمي(ت: 225هـ) (الذهبي، د.ت.، ج. 1، ص. 310)
- أبو عثمان المازني (ت: 249هـ)
- أبو الفضل الرياشي (ت: 257هـ) (الذهبي، 2019، ج. 10، ص. 207؛ السيوطي، د.ت.، ج. 1، ص. 590)

وغيرهم من علماء اللغة والنحو الذين أخذوا عنه؛ فقد كان ممّن وسّع دائرة النظر؛ إذ لم يقف أثر الأخفش عند هذا الحدّ، إنّما تجاوزه إلى فتح باب الخلاف عليه، ومهّد لظهور مدرسة الكوفة، ثم المدارس المتأخرة بعدها.

و إنّ هذا الجمع من التلاميذ يدل مدى اتساع أثره العلمي، وتجاوزه إلى فتح باب الخلاف، والمناظرة مؤكدا قوة ملكته.

مؤلفاته:خلّف الأخفش تراثا علميا واسعا في النحو، واللغة، والعروض، والتفسير، وله كتب كثيرة في النحو والعروض والقوافي، وله في كل فن منها مذاهب مشهورة، وأقوال مذكورة عند علماء العربية (السيوطي، د.ت.، ج. 1، ص. 591). ومن الكتب المنسوبة إليه في المصادر:

- العروض والقوافي
- معاني القرآن
- المسائل الكبير
- المقاييس في النحو
- الاشتقاق
- الأصوات

ولم تكن منزلة مؤلفاته ناشئة من كثرتها فحسب، وإنّما ما اشتملت من آراء ومسائل تدل على تمكنّه من أصول العربية؛ ولذلك كثر نقل العلماء عنه، واستقرت أقواله في كتب من بعده حتى أصبح حاضرا في جملة من مسائل الخلاف النحوي والصرفي.

مذهبه النحوي:

لقد كان فكره لغوي قائم على النظر، والرأي، لا على مجرد الرواية، وقد كان على مذهب الاعتزال كما تقدّم ذكره (الصفدي، 2000، ج. 15، ص. 161). حيث يوضح أنّ الأخفش قد أقام نظره اللغوي على الفكر القائم على الاستدلال والمناقشة، فجاءت آراؤه ثمرة للنظر في أصول العربية.

وفاته:

قضى الأخفش سعيد بن مسعدة –– رحمه الله– حياته في طلب العلم، والتنقيب عن اللغة، وأسرارها. وقد اختلف أصحاب كتب التراجم، و الطبقات في تحديد سنة وفاته؛ فقيل: إنّه توفي بعد الفراء، وكانت وفاته سنة سبع ومائتين للهجرة (السيرافي، 1966، ص. 41). وقيل: سنة خمس عشرة ومائتين للهجرة، وهي الرواية الأشهر، والأكثر ورودا في كتب التراجم (ابن النديم، 1997، ص. 75؛ ابن خلكان، 1994، ج. 2، ص. 381؛ الزركلي، د.ت.، ج. 3، ص. 101).

يعكس اختلاف الروايات في تحديد سنة وفاة الأخفش الأوسط؛ ما جرى عليه منهج أصحاب التراجم في الاعتماد على الأخبار المتفرقة والقرائن التاريخية. غير أنّ ترجيح سنة خمس عشرة ومائتين؛ لكونها الأشهر والأكثر تداولا في المصادر يجعلها أقرب إلى القبول، مع بقاء غيرها من الأقوال محتملا في إطار التقدير التاريخي لا الجزم القطعي.

ما قيل عنه:

احتلّ الأخفش الأوسط منزلة علمية رفيعة، شهد له بها أئمة النّحو، واللغة، وأصحاب التراجم، فأجمعوا على تبحّره، وسعة علمه، ودقة نظره، حتى عدّ من فحول المدرسة البصرية، وقد توالت أقوالهم عنه على النّحو الآتي:

قال السيرافي(ت:368هـ): هو من مشهري نحاة البصرة، وأحذق أصحاب سيبويه، وهو الطريق إلى كتاب سيبويه (السيرافي، 1966، ص. 41). وكان يقال له الأخفش الراوية (الزبيدي، د.ت.، ص. 74). وقال: أبو العبّاس ثعلب(ت:291هـ) (الزبيدي، د.ت.، ص. 141): كان الأخفش أوسع الناس علما، وأحفظ من أخذ عن سيبويه (السيرافي، 1966، ص. 41).

و أيضا قال سلمة(ت:165هـ) (السمعاني، 1988، ج. 2، ص. 356): حدثني الأخفش أنه لمّا قدم الكسائي(ت:189هـ)، البصرة، سأله أنّ يقرأ عليه كتاب سيبويه ففعل فلمّا فرغ من قراءته وجّه له خمسين دينارا (الأنباري، د.ت.، ص. 108). وهو أوّل من أملى غريب كل بيت من تحته الأخفش (القفطي، 1982، ج. 2، ص. 39). وقال أيضا المبرّد(ت:285هـ): كان الأخفش أعلم الناس بالكلام، وكان على مذهبه (القفطي، 1982، ج. 2، ص. 39). وحكى عن الفرّاء (ت:207هـ)، فقال: جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية، يقصد بذلك الأخفش (ابن خلكان، 1994، ج. 2، ص. 381).

وهذه بعض نماذج من أقوال العلماء عنه، وهي وإن تنوّعت عباراتهم، وتعددت منازعهم، فإنّها متفقة على تقدمه في العربية، وقد أجمعوا على أنّه أحذق أصحاب سيبويه بمذهبه، وأوثقهم نقلا لكتابه.

ترجمة الأشموني(ت900هـ) وكتابه شرح الأشموني المسمى بـ"منهج السالك إلى ألفية ابن مالك"

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه

الأشموني: هو عليّ بن محمد بن عيسى بن يوسف بن محمد النّور، أبو الحسن المعروف بابن الشّمس بن الشّرف، أشموني الأصل (السخاوي، د.ت.، ج. 6، ص. 5)، ثم القاهريّ دارا، الشافعيّ مذهبا. ويعرف في كتب التراجم بالأشموني، والنور الأشموني، ونور الدين الأشموني (السخاوي، د.ت.، ج. 6، ص. 5). اجتمعت في تسمية الأشموني دلالات النّسب واللّقب والوجهة الفقهية؛ فاسمه عليّ بن محمد النّور، ويكنّى أبا الحسن. ونسب إلى الأشمون نسبة أصل. ثم قيل له القاهريّ لإقامته بالقاهرة، كما عدّ في طبقة الشافعية. وغلب عليه لقب النّور الأشموني، ونورالدّين الأشموني، وقد تداولت كتب التراجم هذه الألقاب في الإشارة إليه.

مولده وحياته:

ولد الأشموني في شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين وثمان مائة للهجرة، بنواحي قناطر السبّاع (المقريزي، 1997، ج. 3، ص. 260)، ونشأ نشأة علمية، فحفظ القرآن الكريم، وأتقن منذ حداثته جملة من المتون منها: المنهاج، وجمع الجوامع، وألفية النّحو. وابتدأ الانشغال بطلب العلم سنة أربع وخمسين، وكان يومئذ في السادسة عشرة من عمره، فبكّر في التّحصيل، كما تصدى للإقراء، والتدريس، فانتفع به طلبة العلم (السخاوي، د.ت.، ج. 6، ص. 5). يظهر من نشأته المبكرة اهتمامه العميق بالعلم و التحصيل.

شيوخه:

تلقى الأشموني علومه على أيدي نخبة من الفقهاء، والمقرئين، والنّحويين الذين كان لهم أثر بالغ في تكوينه العلمي، فنهل منهم علوم الفقه والقراءات والفرائض. ومن أبرز شيوخه (السخاوي، د.ت.، ج. 7، ص. 259؛ السيوطي، د.ت.، ج. 1، ص. 117)

- شرف الدين المناوي (الزركلي، د.ت.، ج. 8، ص. 167).
- العلم البلقيني (الحنبلي، 1986، ج. 9، ص. 524).
- جلال الدين المحلي الشافعي (الحنبلي، 1986، ج. 9، ص. 447–448).

ومن هؤلاء نخبة ممّا لا يسع ذكرهم جميعا الذين نهل منهم الأشموني علومه؛ إذ لم يقتصر تحصيله على فقه فقط، إنّما امتد إلى القراءات والنّحو، والصرف، وأصول الفقه. ويبيّن هذا التعدد في مصادر علمه تكوين شخصية علمية متوازنة قادرة على الجمع بين مختلف العلوم العربية، والشرعية، كما يعكس أثر التدرج المنهجي في دراسته المبكرة على بروز مكانته في ميادين العربية، والفقه، والقراءات لاحقا.

تلاميذه:

تميز الأشموني بسعة الاطلاع، وتنوّع المعارف، ولازمه عدد من الطلبة الذين نهلوا من علومه، وانتفعوا بشروحه وتعليقاته، فكان لذلك أثر بيّن في تكوين جيل من العلماء. ومن أبرز تلاميذه:

- أحمد بن أبي بكر بن محمد الأنصاري
- ابن الجزري (الحنبلي، 1986، ج. 10، ص. 229).
- عبدالوهّاب الشعراني (الزركلي، د.ت.، ج. 4، ص. 180).

...وغيرهم من التلاميذ ممّن ضاق المقام عن استقصاء أسمائهم. ممّا يدلّ على سعة تأثيره العلمي، وكثرة المتلقّين عنه، وامتداد نفعه في طبقات متعاقبة من أهل العلم.

مؤلفاته:

وعلى هذا النحو، امتدّ أثر الأشموني العلمي، وتجاوز حدود عصره إلى ما خلّفه من آثار علمية منها: (الزركلي، د.ت.، ج. 5، ص. 10)

- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك المعروف بشرح الأشموني، وهو محلّ هذه الدّراسة.
- شرح قطعة من كتاب التسهيل لابن مالك.
- حاشية على كتاب الأنوار لأعمال الأبرار في الفقه الشافعي.
- نظم المنهاج في الفقه.
- نظم جمع الجوامع في الأصول.

وله مؤلفات أخرى، يضيق المقام عن حصرها؛ إلا أنّ يظهر من عرض بعض كتبه مدى دقته العلمية، ووضوح عباراته، وغزارة إنتاجه، وهو ما يظهر حضوره البارز في شرحه.

مذهبه النحوي:

قام مذهب الأشموني النحوي، على انتقاء ما يراه راجحا من أقوال المدرستين البصرية والكوفية، فلم يتقيد بمذهب بعينه، ولا كان في جميع مسائله على منهج مدرسة واحدة، إنّما كان ينظر في أقوال النحاة، ويختار منها ما عضده الدليل. إلا أنّ أثر المدرسة البصرية في جملة اختياراته النحوية، وهذا المنهج يعرف بالمدرسة المصرية البغدادية (شوقي ضيف، د.ت.، ص. 157). لم يكن الأشموني متبعا لمذهب بعينه، ولا مقتصرا على أصول طائفة دون أخرى، إنّما كان ينتخب من مذاهب النحاة ما قام عنده عليه وجه من السماع أو القياس، فله في مسائل موافقة للبصريين، وفي أخر موافقة للكوفيين، وإن ميله إلى أصول البصريين أظهر، وموافقته لهم أكثر؛ لما اشتهر عنهم من إحكام القياس وكثرة الاعتناء بأصول العربية. إلا أنّه لم يكن يأخذ بأقوالهم أخذ المقلّد، بل ربما خالفهم واختار الكوفيين متى ظهر له قوته.

وفاته:

اختلف أصحاب التراجم في تحديد سنة وفاته، قيل: إنّه توفي يوم السبت، السابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ثمان عشرة وتسعمائة (الغزي، 1997، ج. 1، ص. 285). وقيل سنة سبع وعشرين وتسعمائة (الشوكاني، د.ت.، ج. 1، ص. 491). فالراجح أنّ وفاته سنة تسعمائة للهجرة (الزركلي، د.ت.، ج. 5، ص. 10). و الذي يظهر أنّ وفاته كانت سنة تسعمائة.

ما قيل عنه:

حظي الأشموني بمكانة رفيعة في نظر العلماء لما تميز به من كريم الخصال، وجميل السجايا، والإقرار بتقدمه في العربية، وما جمع إليه من سعة العلم. فقد وصفه عمر رضا كحالة(ت:1408هـ)، بأنّه فقيه أصولي، مقرئ، متكلم، ناظم، جامع بين فنون شتى من العلوم، وأيضا (كحالة، 1961، ج. 7، ص. 225) قال عنه خير الله الزركلي(ت:1396هـ): أنّه كان من فقهاء الشافعية، وتولى القضاء بدمياط (الزركلي، د.ت.، ج. 5، ص. 10). كما وصفه شوقي ضيف(ت:1426هـ)، بأنّه من أنبه النحاة الذين أنجبتهم مصر في القرن العاشر للهجرة، كما كان عالما زاهدا متقشفا، وعاكفا على المطالعة، مواظبا على التدريس، منصرفا إلى التصنيف (شوقي ضيف، د.ت.، ص. 360). وتبيّن هذه الأقوال، على اختلاف عبارات أصحابها، عن اتفاقهم على رفعة منزلة الأشموني، وإن تنوعت وجوه الثناء عليه؛ فمنهم من أبرز انقطاعه إلى العلم، ومنهم من نوه بإمامته في العربية، ومنهم من أشار إلى منزلته في الفقه والقضاء. وهذا التعدد شاهد على اكتمال شخصيته العلمية.

كتابه:

وسمى مؤلفه كتابه: منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، وهو الاسم الذي أثبته في صدر مصنّفه، إلا أنّ الكتاب غلبت عليه ألسنة أهل العلم تسميته بشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، فاشتهر به من الاسم الذي وضعه له مؤلفه (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 15).

مضمون الكتاب:

ويعدّ هذا الشرح من أنفس شروح الألفية وأجمعها؛ إذ تضمن عددا كبيرا من الشواهد الصرفية، والنحوية على اختلاف أنواعها فاستشهد بالآف الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأبيات الشعرية، وأمثال العرب، بالإضافة إلى أنّه ضم مذاهب النحاة، وعللّهم، وشواهدهم، مستفيدا من مصنفات من تقدّمه من أئمة العربية، فجمع متفرقها، وأودعه كتابه، وقد امتاز بكثرة شواهده، وسعة مادته، حتى غدا من أجل المراجع في هذا العلم (الطنطاوي، 2005، ص. 228).

فكان كتابه جامعا لشتات هذا العلم، لا يكاد الباحث يطلب مسألة من مسائله إلا وجد لها فيه شاهدا أو تعليلا. فاختياره لهذه التسمية عن حسن قصده؛ فإنّ الأسماء عند أهل العلم دلائل على مقاصدها، وقد جاء اسم كتابه موافقا لما اشتمل عليه من إيضاح معاني الألفية.

طبعات الكتاب:

اعتنى أهل العلم بهذا الشرح عناية ظاهرة، ثم تتابعت طبعاته، وكثر نسخه في أيدي أهل العلم؛ فكانت أول طبعاته ببولاق طبع كتاب منهج السالك إلى ألفية ابن مالك (شرح الأشموني) للمرة الأولى في مطبعة بولاق سنة:1280هـ

(الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 10)، مقرونا بحاشية الصبّان عليه ثم أعيدت طباعته في سنتي :1293هـ و1298هـ في تونس مصحوبا بحاشية ابن سعيد التونسي التي سماها ب (زهر الكواكب لبواهر المواكب)، وفي سنة :1305هـ أعيد طبع الكتاب مرة أخرى مع حاشية الصبّان في المطبعة الأزهرية بمصر، ثم في المطبعة الخيرية فيها أيضا (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 10).

أما أول طبعة للكتاب دون حواش فكانت بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد في منطقة السعادة بمصر سنة:1375هـ -1956م (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 10) وقد جاءت تلك الطبعة خالصة من التعليقات والاستدراكات إذ افتقر المحقق فيها على ضبط المتن وتحقيقه فحسب غير أنه عاد فأصدر طبعة موسعة في أربعة أجزاء مثقلة بالحواشي، والتعليقات والاستدراكات على عادته في تحقيق المصنفات النحوية (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 11)، فقد حرص المحقق على تخريج الآيات القرآنية والشواهد الشعرية من حيث تحديد بحورها وشعرائها، ومصادرها وشرح معانيها، وإعرابها ومواضع الاستشهاد فيها وإثبات بعض التعليقات العلمية دون الإكثار من الحواشي حفاظا على سلامة المتن بالإضافة إلى إعداد فهارس فنية دقيقة في ختام الكتاب تيسّر على الباحثين سبل الإفادة منه (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 11). تتابعت طبعات الأشموني، على ألفية ابن مالك منذ طبعة بولاق.

أولا-مفهوم التعقبات في اللغة والاصطلاح، والتمييز بينها وبين الترجيحات، والآراء، والاختيارات، والرد، والموازنة؟

ثانيا- ألفاظ الترجيح والتضعيف

مفهوم التعقّبات في اللغة:

التعقّبات جمع تعقّب، وهو في أصل معناه اللغوي يدل على التتبع والنظر في الأمور بقصد بيان الصواب، وإصلاح الخطأ، والتعليق على كلام المتعقّب عليه. وقد ورد هذا المعنى في المعاجم العربية؛ إذ قال الخليل بن أحمد(ت:170هـ)، تعقّب بمعنى تعقّبت ما صنع فلان، أي: تتبعت أثره (الفراهيدي، 2003، ج. 1، ص. 180) ممّا يدل على أن التعقّب عنده قائم على تتبع الأثر والوقوف عليه.

و أوضح ابن فارس(ت:395هـ) في مقاييس اللغة أن مادة (ع ق ب) ترجع إلى أصلين صحيحين: أحدهما يدل على تأخير الشيء وإتيانه بعد غيره، والآخر يدل على الارتفاع والشدة والصعوبة. ومن الأولى قولهم: جاء الشيء يعقب شيئا، أي: أتى بعده، ومنه العقب، والعقبة. (ابن فارس، 2008، ج. 4، ص. 77) حيث وضّح أن التعقّب يتضمن معنى المجيء بعد الشيء و النظر فيه. كما جاء في لسان العرب أنّ التعقّب هو الرجوع، والنظر، والتتبع،

ويقال: تعقّب الخبر إذا تتبعه، وتعقّب الأمر إذا تدبره ونظر فيه (ابن منظور، د.ت.، ج. 1، ص. 619). ويقال: تعقّب فلان فلانا أي: تتبع أمره، والتعقب والتعقيب بمعنى واحد فيفدان التتبع، والنظر، والمراجعة؛ للوصول إلى نتائج صحيحة (مجمع اللغة العربية، 1972، ج. 2، ص. 613). فهذه الدلالات جميعها تدور حول معاني التتبع، والتفحص، والتدبر، والرجوع إلى الأمر، والنظر فيه مرة أخرى.

مفهوم التعقّبات في الاصطلاح:

أمّا التعقّب في الاصطلاح، فهو من المصطلحات التي استخدمها العلماء المتقدمون والمحدثون في مؤلفاتهم، ويراد به إعمال النظر في قول سابق أو صنيع عالم متقدم، من خلال تتبع المعنى المتبادر إلى الذهن، والنظر في أدلته، فإذا وجد فيه ما يرى عدم صوابه، خالفه المتعقّب، وبيّن وجه الخطأ، وصوّب القول بما يراه أقرب إلى الصواب (الآمدي، 1967، ج. 4، ص. 239). فالتعقّب في الاصطلاح يتضمن التتبع، والفحص، والتدقيق، والنظر المتكرر، مع بيان الصواب، وإصلاح الخطأ، والتعليق على كلام المتعقّب عليه، وهو بهذا يكون لاحقا لكلام سابق، قائما على تقويمه وتصحيحه، لا مجرد نقله أو تلخيصه.

التمييز بينه وبين ما يقاربه من المصطلحات المتداولة عند أهل العلم:

الاختيار

يعرّفه جماعة من أهل اللسان الاختيار: هو طلب ما هو خير وترجيحه، وربّما أطلق على ما يحسبه المرء خيرا، وإن لم يكن في ذاته خيرا، وهو الاصطيفاء (الجوهري، 1987، ج. 2، ص. 652). والاختيار: مصدر الفعل "اختار يختار اختيارا"، والخاء والياء والراء، أصله العطف، وميل النفس إليه (ابن فارس، 2008، ج. 2، ص. 232).

ب-الترجيحات

الترجيح: هو تقوية أحد المذهبين وإيثاره على غيره؛ لظهور حجّته في النظر وقوة ما استند إليه.

أمّا في الاصطلاح، فالترجيح هو تقوية أحد القولين أو الدليلين على الآخر، والعمل بالأقوى وطرح الموجود. (القرافي، 1995، ج. 8، ص. 3667) وقد عرّفه الأصوليون بأنه: تقوية إحدى الأمارتين على الآخر بدليل يوجب العمل به (الجعبري، 1988، ص. 148). فيتضح من هذه التعريفات أن الترجيح لا يكون إلا بين متقابلين، وأنّه يقوم على دليل ويفضي إلى اعتماد أحد القولان دون الآخر.

ت-الآراء

مصطلح الآراء أو الرأي هو ما يذهب إليه العالم باجتهاده، مستندا إلى نظر وقياس فيما لا نص فيه (مجموعة من المؤلفين، د.ت.، ج. 1، ص. 320). والآراء مفردها الرأي، والرأي في المعاجم العربية يعني الاعتقاد والعقل والتّدبر والنّظر والتأمل ويقال: رأيته رأي العين حيث يقع عليه البصر. وعرفه بعضهم بأنّه: إجالة الخاطر في المقدمات استنباطا للمطوب (عبد المنعم، 1999، ج. 2، ص. 109). و في هذا دلالة على أنّ الرأي إنما ينسب إلى الاجتهاد وإعمال النظر؛ لأنّه وليد التأمل والاستنباط، لا مجرد تلقي الأقوال وروايتها.

الرد:

في اللغة: مصدر رددت الشيء، وهو يستعمل في المنع والصرف، والإرجاع، ويقال: ردّ عليه قوله، إذا لم يقبله، وردّ فلانا، إذا خطّاه (عبد المنعم، 1999، ج. 2، ص. 139). و يدل ذلك على أنّ الرد إنّما يكون عند قيام ما يقتضي نقض القول وإبطاله. والرد عند العرب يأتي على وجوه: منها الصرف، يقال: ردّ الله عنه كيد عدوّه، أي: صرفه عنه، ومنها الرفض، يقال: رددت قوله، إذا لم أقبله. ومنها الإرجاع، يقال: رددن إليه حقّه (الرازي، 1999، ص. 121؛ ابن منظور، د.ت.، ج. 3، ص. 172). وهذه الوجوه وإن تنوعت ألفاظها، فإنّها ترجع إلى أصل جامع، وهو ردّ الشيء عن وجهه.

الموازنة:

الوزن مصدر: وزنت الشيء أزنه وزنا، من باب وعد، ويقال: وزنت لزيد حقه، إذا قدّرته بالميزان (الفيومي، د.ت.، ج. 2، ص. 658).

والموازنة: هي مقابلة الأقوال بعضها ببعض، والنظر في وجوهها (الجرجاني، 1983، ص. 237). وفي هذا دلالة على أنّ الموازنة مقابلة الشيء بنظيره، ليظهر ما بينهما من اتفاق.

–فهذه الألفاظ متقاربة الدلالة، إلا أنّها ليست سواء في المعنى؛ فالتعقّب تتبع يعقبه نظر وتقويم وأمّا الترجيح فغايته تقوية أحد القولين على الآخر بدليل. والاختيار اصطفاء ما صح عند الناظر، والرأي ما انتهى إليه الاجتهاد، والردّ إبطال القول وصرفه. وأمّا الموازنة فمقابلة الأقوال، وعرض بعضها على بعض؛ ليظهر ما بينها من موافقة أو مخالفة. فظهر أنّ التعقّب أوسع هذه المعاني؛ وبذلك يفترق كل واحد منها عن الآخر، وإن اجتمعت في أصل النظر في الأقوال؛ إذ لكل لفظ منها موضع لا يتعدّاه، والتعقّب يتناول جميع ذلك على حسب ما يوجبه وجه القول.

ثانيا– ألفاظ الترجيح والتضعيف التي استعملها الأشموني في كتابه

وممّا يحسن الوقوف عنده في هذا الموضع ألفاظ الترجيح والتضعيف؛ فإنّها الاساس في مذاهب العلماء وأقوالهم؛ إذ بها يعرف ما ارتضاه المصنّف، وما أعرض عنه، وبها يتبين مبلغ قوة القول أو ضعفه عنده، فهي مفاتيح إلى فهم اختياراته؛ لهذا– فقد استعمل الأشموني هذه الألفاظ في أثناء مناقشاته، فجاءت متفاوتة الدلالة بحسب ما يقتضيه النظر؛ فحسن جمعها، وتوضيحها في مواضع قوله؛ ولذلك جعلت في هذه الدراسة على ثلاثة أقسام وهي:

(أ): ألفاظ الترجيح و التصحيح:

"الصحيح" وهو أكثر ألفاظ الترجيح استعمالا عند الأشموني؛ إذ ورد في مواضع بلغت أكثر من أربعين موضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 18، 66، 185، 468).

"أولى" وهو الثاني في الكثرة فقد ورد أكثر من ثلاثين موضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 23، 31، 85، 183، 394، 367).

"المشهور" ورد أكثر من خمسة عشرة موضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 114، 477؛ ج. 2، ص. 9، 51).

"الأصح" ورد أكثر من ست مواضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 42، 128، 145، 296، 297).

"الأحسن" ورد أكثر من سبع مواضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 42، 128، 145، 296، 297).

"الأرجح" ورد أكثر من خمس مواضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 22، 463، 486؛ ج. 2، ص. 135، 210، 371).

"المختار" ورد أكثر من خمس مواضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 367، 485، 497؛ ج. 2، ص. 148، 407؛ ج. 4، ص. 60).

"الأشهر" ورد في أربع مواضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 18، 24، 531؛ ج. 2، ص. 293، 335).

"الأفصح" ورد في ثلاث مواضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 22، 63، 417).

"الأظهر" ورد أيضا في ثلاث مواضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 486؛ ج. 4، ص. 153، 160).

"الأقيس" ورد في موضعين (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 444؛ ج. 3، ص. 43).

"الأجود" وكذلك ورد في موضعين (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 369؛ ج. 3، ص. 156).

(ب): ألفاظ التضعيف والرد:

"ضعيف" فقد ورد أكثر من تسع موضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 271، 272، 385، 403، 498).

"مردود" ورد ثمان مواضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 32، 52، 189، 263؛ ج. 2، ص. 145، 248).

"فاسد" ورد في أربع مواضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 70، 185، 424؛ ج. 2، ص. 163).

"ليس بصحيح" فقد ورد في ثلاث مواضع (الأشموني، 1998، ج. 3، ص. 119، 156؛ ج. 4، ص. 52).

(ج): ألفاظ الحكم بالشذوذ والندور:

"شذ" و"شاذ" فقد وردت في أكثر من عشرون موضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 211، 329، 330، 407؛ ج. 2، ص. 269، 339).

"نادر" ورد أكثر من عشرة مواضع (الأشموني، 1998، ج. 1، ص. 52، 54، 287؛ ج. 2، ص. 111، 284).

فهذه جملة ألفاظ الترجيح، والتّضعيف التي أكثر الأشموني من إيرادها، وهي ممّا توضح عن دقة نظره، على الأقوال، فلا تفهم تعقّباته إلا معرفة مراتب هذه الألفاظ، والوقوف على ما تقتضيه من من ردّ أو تضعيف أو ترجيح.

قائمة المراجع:

1. ابن النديم. (1997). الفهرست (إبراهيم رمضان، تحقيق) (ط. 2). دار المعرفة.
2. ابن خلكان. (1994). وفيات الأعيان (إحسان عباس، تحقيق) (ط. 1، ج. 2، 7). دار صادر.
3. ابن فارس. (2008). معجم مقاييس اللغة (أنس محمد الشامي، تحقيق، ج. 2، 4). دار الحديث.
4. ابن منظور. (د.ت.). لسان العرب (ج. 1، 3). [د.ن].
5. أبو الطيب اللغوي. (1974). مراتب النحويين (محمد إبراهيم، تحقيق) (ط. 1). مكتبة نهضة مصر.
6. الأشموني. (1998). شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (ط. 1، ج. 1–4). دار الكتب العلمية.
7. الآمدي. (1967). الإحكام في أصول الأحكام (عبد الرزاق عفيفي، تحقيق) (ط. 1، ج. 4). مؤسسة النور.
8. الأنباري. (د.ت.). نزهة الألباء. [د.ن].
9. التنوخي. (1992). تاريخ العلماء النحويين (عبد الفتاح محمد الحلو، تحقيق) (ط. 2). هجر للطباعة والنشر.
10. الجرجاني، الشريف. (1983). التعريفات (ط. 1). دار الكتب العلمية.
11. الجعبري. (1988). رسوخ الأخبار في منسوخ الأخبار (حسن محمد مقبولي، تحقيق) (ط. 1). مؤسسة الكتب الثقافية.

12. الجوهري. (1987). الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية (أحمد عبد الغفور عطار، تحقيق) (ط. 4، ج. 2). دار العلم للملايين.
13. الحنبلي. (1986). شذرات الذهب (محمود الأرناؤوط، تحقيق) (ط. 1، ج. 9–10). دار ابن كثير.
14. الذهبي. (2019). سير أعلام النبلاء (عادل مرشد، تحقيق) (ط. 2، ج. 10). دار الرسالة العالمية.
15. الذهبي. (د.ت.). العبر في خبر من غبر (أبو هاجر محمد السعيد زغلول، تحقيق، ج. 1). دار الكتب العلمية.
16. الرازي. (1999). مختار الصحاح (يوسف الشيخ محمد، تحقيق) (ط. 5). المكتبة العصرية.
17. الزبيدي. (د.ت.). طبقات النحويين واللغويين (محمد أبو الفضل، تحقيق) (ط. 2). دار المعارف.
18. الزركلي. (د.ت.). الأعلام (ج. 3–8). [د.ن].
19. السخاوي. (د.ت.). الضوء اللامع (ج. 6–7). دار مكتبة الحياة.
20. السمعاني. (1988). الأنساب (ط. 1، ج. 2). دار الجنان؛ دار الفكر.
21. السيرافي. (1966). أخبار النحويين البصريين (طه محمد الزيني ومصطفى الحلبي، تحقيق). [د.ن].
22. السيوطي. (د.ت.). بغية الوعاة (أبو الفضل إبراهيم، تحقيق، ج. 1). المكتبة العصرية.
23. شوقي ضيف. (د.ت.). المدارس النحوية. دار المعارف.
24. الشوكاني. (د.ت.). البدر الطالع (ج. 1). دار المعرفة.
25. الصفدي. (2000). الوافي بالوفيات (أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، تحقيق، ج. 15). دار إحياء التراث.
26. الطنطاوي. (2005). نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة (أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، تحقيق) (ط. 1). مكتبة إحياء التراث الإسلامي.
27. عبد المنعم، م. ع. (1999). معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية (ج. 2). دار الفضيلة.
28. الغزي. (1997). الكواكب السائرة (خليل المنصور، تحقيق) (ط. 1، ج. 1). دار الكتب العلمية.
29. الفراهيدي. (2003). العين (عبد الحميد هنداوي، تحقيق، ج. 1). دار الكتب العلمية.
30. الفيومي. (د.ت.). المصباح المنير (ج. 2). المكتبة العلمية.
31. القرافي. (1995). نفائس الأصول في شرح المحصول (عادل أحمد عبد الموجود، تحقيق) (ط. 1، ج. 8). مكتبة نزار مصطفى الباز.
32. القفطي. (1982). إنباه الرواة (أبو الفضل إبراهيم، تحقيق) (ط. 1، ج. 2). دار الفكر العربي.
33. كحالة، ع. ر. (1961). معجم المؤلفين (ج. 7). المكتبة العربية.
34. مجمع اللغة العربية. (1972). المعجم الوسيط (ط. 2، ج. 2). مجمع اللغة العربية.
35. مجموعة من المؤلفين. (د.ت.). المعجم الوسيط (ج. 1). [د.ن].
36. المقريزي. (1997). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (ط. 1، ج. 3). دار الكتب العلمية.
37. ياقوت الحموي. (د.ت.). معجم البلدان (إحسان عباس، تحقيق) (ط. 2، ج. 1). دار صادر.